ابن المقفع

كتاب الأستاذ عبد اللطيف حمزه

بقلم محمود الطنجى

المدرس بالمدرسة الخديوية

إخالك تعترف معى بأن ابن المقفع شخصية كبيرة ، لها أثرها المحمود فى الأدب ؛ فليس بغريب أن يُعنى الأدباء ببحث هذه الشخصية ، بل الغريب ألا يفعلوا

ويحيط الاضطراب والغموض بكثير من نواحى ابن المقفع ؛ لذلك أقبلت على قراءة هذا الكتاب ، شاكراً للأستاذ عبد اللطيف بحثه ومجهوده فيه على كل حال ، سواء اتفقت معه فى نظره أو اختلفت ، فإن ذلك لن يضيع مجهوده سدى ، ولن يجعلنى أغمطه حقه ، فله من الأدباء حسن المثوبة ومن المتأدبين الثناء الجميل

* * *

وفى الحق أن كثيراً من الغموض يحيط بحياة ابن المقفع ، ولذلك دأب الكاتب على كشف الغموض عنه حتى يظهرهُ كما هو لا كما يتصوره الرواة ؛ فعمد إلى المظان ، ومايل بين بعض الروايات وبعض ، مستخلصاً الحقيقة فى لفظ لين وأسلوب سهل

وغاية ما كنت أصبو له وأتمناه أن تكون وقفته أمام بعض النقط أطول مما وقف ، حتى نقر له بالحسنيين : الاستيعاب والتدقيق

مولد ابن المقفع

يكتنف الغموض مولده ، وقد تركه الأستاذ غامضاً كما هو ، فالأستاذ الجليل كرد على فى كتابه (أمراء البيان) يرجح أنه توفى وسنه حوالى الستين ، بين عامى

١٤٢ و ١٤٥ هـ ، ويرى أن ولادته تقع قبل عامى ١٠٦ و ١٠٧ هـ كما ذكرت المصادر الحديثة . فكنت أود أن يقف المؤلف عند رواية البلاذري فى كتابه (فتوح البلدان) التي ذكرها فى صفحة ٥٣ حتى نظفر بالحقيقة ؛ لا سيما أنه جعل للبصرة أربعة أطوار ، كان أستاذ الطور الرابع منها فى زعمه ابن المقفع . وكان هذا بعد موت واصل بن عطاء عام ١٣١ هـ فكان ابن المقفع كان أستاذ البصرة وسنه حول ٢٥ أو ٢٦ سنة ، وهذا قول لا يقبله العقل بسهولة ، بل قد يرده ؛ فابن المقفع كما يذكر المؤلف وكما يذكر الأستاذ كرد على ، عاش فى أحضان والده بفارس ، وتثقف بالثقافة الفارسية ، ثم رحل إلى البصرة فى وقت لا نعلمه ، وإذن فمتى تثقف بالثقافة الفارسية ؟ ومتى تعلم العربية وشدا فيها ؟ ومتى تزعم والبصرة كما يقول كانت فى هذا الوقت مائجة بالعلم والعلماء ، زاخرة بالأدب والمتأدبين يكثر فيها الشعراء والمتكلمون

فلو أنه حقق رواية البلاذرى لساعدته على إسناد الزعامة له فى سن متقدمة نوعاً تسمح له بالتعلم أولاً ثم بالزعامة ثانياً ، لا سيما أنه يقول فى صفحة ٥٦ : «وكان يفد على آل سليمان بن على بالبصرة رجل من البادية يقال له أبو الجاموس نور ابن يزيد ... وقيل إنه عن هـذا الرجل أخذ ابن المقفع الفصاحة وتاقى ، فصحت سليقته واستقامت عربيته ... »

لونه السياسى

أما لون ابن المقفع السياسى فقد أتى المؤلف فيه على آراء أعتقد أنه لو حقق فيها النظر لعدل عنها ونفر منها ، فما قال قبله قائل ولا تصور متصور بأن دعوة تدبر فى الخفاء وتدار فى السر لقلب دولة من أجل خليفة مجهول ، حتى إذا ما نجحت الدعوة يبعث صاحبها فى مفاوضة أناس علّهم يقبلون الخلافة . وهل يعقل أن يشترك العباسيون وبعض الموالى من الفرس فى الدعوة سرًّا ، وكلٌّ يجهل نية صاحبه : فالعباسيون يقصدون بآل البيت أنفسهم ، والموالى يقصدون

بآل البيت العلويين ؛ وتستمر الدعوة هكذا ، حتى إذا جاء وقت العلن أعلن العباسيون أنهم يعنون أنفسهم ، ويحبس أبو سلمة الخلال السفاح فى بيته شهرين من أجل البحث عن خليفة علوى ؛ وهذا حيث يقول فى صفحة ٥٩ « فقالوا : نطالب بالخلافة للعلويين ... وبدءوا دعوتهم سراً لم يكن يعلم بهم أحد أول الأمر ولكن نفراً من العباسيين علموا ذلك السر ، وأحبوا أن ينتهزوا الفرصة السانحة وخدعوهم عن أنفسهم بهذه الحيلة ؛ وهى أنهم قالوا لهم : إنا داعون مثلكم لآل البيت ، ولكن من هم آل البيت ؟ أما الفرس فيعنون بآل البيت أنهم العلويون وأما العباسيون فيفهمون أن آل البيت هم العباسيون ؛ وظل كل فريق يضمر فى نفسه ما يفهمه وما يعنيه ، وسارت الدعوة فى طريقها السرى الذى نعلمه ، حتى تجاوزته إلى طريق العلن ؛ وهنا أظهر العباسيون أنهم يقصدون أنفسهم بهذا البيت ؛ ورأى زعيم الموالى إذ ذاك « أبو سلمة الخلال » ... أن الدعوة صائرة على ما يكره إلى بنى العباس ، فأبطأ أول الأمر فى إعلان الخلافة ، وتلكأ بالفعل فى مبايعة السفاح ؛ بل إنه حبس السفاح فى بيته شهرين ، وحظر على الناس مقابلته ، وطفق فى أثناء ذلك يراسل بعض العلويين فى الأمر ويطلب إليهم أن يقبلوا الخلافة ...!»

وأنا بعد هذا أترك إلى المؤلف الحكم ، وأترك إليه إعادة النظر فى القصة التى حكاها المسعودى ص ٦١ لعله يغيّر ما قال ويعدل عما رأى

ابن المقفع الكاتب

عرض المؤلف فى هذا الفصل إلى نظرية أسبقية الشعر للخطابة وللنثر الفني ، وإنه فى ذلك متبع لا مبتدع ، ولكنه انحرف كثيراً عن نظرية عميد كلية الآداب الدكتور طه حسين ؛ فهو لم يقصد إلى هذا مطلقاً ، ولم يجعل أى جماعة فى الطور الذى يلى بداية عهدها بالوجود تعبر عن عواطفها بالشعر بالاستنتاج الذى ذكره المؤلف فى صفحة ١٧٢ ؛ وذكر فى هذا الفصل أن خصائص تلاميذ المدرسة

الكتابية الأولى هى خصائص الخطابة ، وذكر الإيجاز فجعله للخطابة أولاً ثم للكتابة تشبيهاً لها بالخطابة فى طورها الأول . ولو رجع إلى طائفة من خطب العصر العباسى الأول أو الأموى لنقض قوله بنفسه ؛ فما كانت الخطب موجزة فى هذا العصر ، وما قال أحد قبله بأن من طبيعتها الإيجاز ، فأولى خصائص الخطابة إيراد عبارات كثيرة على معنى واحد ، لتثبيتها فى ذهن السامع ، ولإحداث الأثر المطلوب من الخطابة ؛ فيتبين من هذا أن ما عرض له المؤلف — من جعل كل فن من الفنون الثلاثة : الشعر ، والخطابة ، والنثر الفنى ، يأخذ خصائص سابقه — يحتاج إلى شىء من التمحيص والبحث . فما كان الايجاز فى الكتابة فى هذا العصر تبعاً للخطابة

وبعد ، فأشكر للأستاذ ما بذل من جهد ، وما قصد إليه من غاية

محمود الطنجى

الفهرس

٠	مقدمة	التحرير .. ..
١	عيد الاحسان (قصيدة)	: للشاعر محمود حسن إسماعيل . ...
٤	الخيال فى الأدب	: للأستاذ أحمد الشايب... ... ...
١٤	أسس الاصلاح فى دار العلوم	: للدكتور على العنانى ... ...
١٩	علم النفس وصلته باللغة والأدب والاجتماع	: للأستاذ محمد خلف الله . ...
٢٣	الدلالة النفسية للألفاظ والتراكيب العربية	: سيد قطب... ... ...
٣٧	الثقافة	: للأستاذ عبد الحميد حسن ... ...
٤٣	أسلوب المتنبي	: للأستاذ عبد الوهاب حمودة . ...
٦١	الفكاهة فى الأدب	: أحمد هاشم عطية .. ..
٦٩	الوضوح والغموض وطبيعة الأدب ...	: عبد الباقى إبراهيم . ...
٧٤	نقد الشعر	: فايد العمروسى ... ...
٨١	بين الحقيقة والخيال	: للأستاذ عبد اللطيف المغربى . ...
٩١	رجلس (قصة)	: عبد العزيز عتيق .. ..
٩٩	الجندى والشباب (قصيدة)	: محمود إبراهيم محمد . ...
١٠٣	ورقة النصيب (قصة)	: محمد سعيد العريان . ...
١٠٩	عظيم دولة الموحدين	: للأستاذ محمود البشبيشى ... ...
١١٧	النقد الأدبى قديماً وحديثاً	: حسنين حسن مخلوف .. ..
١٢٥	فتح طارق بن زياد بلاد الأندلس	: عبد العظيم على قناوى .. ..
١٣٤	مقابس من كتاب معجم الأدباء	: للأستاذ عبد الخالق عمر ... ...
١٤٣	فؤاد الأول (كتاب)	: المتولى قاسم .. ..
١٤٧	ابن المقفع (كتاب)	: محمود الطنيخى ... ...

مطبعة الرسالة